

أثر التشريعات والقوانين العراقية في الحياة الاقتصادية  
خلال الألف الثالث قبل الميلاد

((القوانين العراقية القديمة، الأزمات الاقتصادية،  
الإصلاحات الاقتصادية))

دعاء محسن علي الصكر

مدرس مساعد/جامعة ميسان/كلية التربية-قسم التاريخ

The Impact of the Iraqi Legislation and Laws in the  
Economic Life  
During the Third Millennium B.C

((Ancient Iraqi laws, Economic crises, Economic  
reforms))

Doaa Mohsen Ali Al-Sugar

Assistant Lecturer

University of Maysan, College of Education  
Department of History

## أثر التشريعات والقوانين العراقية في الحياة الاقتصادية خلال الألف الثالث قبل الميلاد

م.م دعاء محسن علي الصكر\*

### الملخص :

ارتبطت مصائر الانسان، لاسيما في العصور القديمة، مع الحالة الاقتصادية والقدرة المعاشية العامة للمجتمع، الذي سعى جاهدا الى توفير ما يكفيه من قوت يومي لاستمرار حياته وضمان كرامته، ابتعادا عن عازة الفقر والجوع، والاضطرار الى التخلي عن الكثير من ممتلكاته، وحتى حريته ان لزم الامر، كاحدى السبل لاستمرار حياته وحياة عائلته . وقد ارتبطت القدرات الاقتصادية والمعاشية مع المتغيرات والاحداث الطارئة في المحيط البيئي وتقلباته وكذلك المتغيرات في الحالة السياسية واثرها الكبير على النظام الاجتماعي والاقتصادي معاً، مما قد يتسبب بشيوع الفقر والعوز وتسلط قوة المال المملوكة بيد القلة على مقدرات الغالبية المسحوقة مما يؤدي بذلك الى التسبب باهانة الكرامة الانسانية باستعباد النفوس من اجل لقمة العيش، لذلك افتخر العراق القديم ونحن بدورنا، لوجود نظام انساني واجتماعي سبق بذلك الامم القديمة الاخرى، الا وهي اقدم القوانين والتشريعات، التي حفظت كرامة الانسان وحقوقه، وحمايته من تسلط وجبروت اصحاب المال والمتنفذين، وبالتالي ضمان مستقبله مع عائلته لاسيما ضمن الازمات الاقتصادية والمتغيرات السياسية والدينية، ومحاولة عدم الوصول الى الحدود الدنيا من الفقر والعوز .

## Abstract :

The destinies of man , especially in ancient times, associated with the economic situation and the ability pension general community , which endeavored to provide enough staple food daily for the continuation of his life and to ensure dignity, a departure from the poverty and hunger, and having to give up a lot of possessions , and even his freedom if necessary it's , as one of the ways for the continuation of his life and the lives of his family. Have been associated with economic capacity and pension with variables and emergency events in the environment and variability as well as changes in the political situation and its impact heavily on social and economic system together, which may cause the prevalence of poverty and destitution and shed money power owned , however, the minority on the capabilities of the vast crushed leading thus to cause insult human dignity enslaving souls for a living , so proud old Iraq and we in turn , because of the system of humanitarian and social already so nations other ancient , but the oldest laws and regulations, which preserved the dignity of man and his rights , and protect it from the domination and tyranny of the owners of money and influential , and thus ensure his future with his family , especially within the economic crises and political and religious variables , and try not to reach the lower limits of poverty and destitution.

## المقدمة :

عانت الشعوب في مختلف الازمنة والامكنة من الازمات الاقتصادية التي كانت تهدد كيان الفرد والمجتمع على حد سواء، ففي قديم الزمان كانت هذه الازمات تنشأ لاسباب مختلفة كسنوات الجفاف وقلة الامطار التي هي عماد الحياة، والفيضانات التي تحدث فجأة، فتجرف معها الاراضي الزراعية، وغيرها من الاسباب، التي تحدث تدميرا كبيرا في الاقتصاد الزراعي، فضلا عن الازمات السياسية والعسكرية التي كانت هي الاخرى من الاسباب المهمة في تدهور الحياة الاقتصادية كالحروب التي تستنزف اموالا طائلة، وتؤدي الى عدم تأمين الطرق التجارية وبالتالي توقف التجارة لفترة من الزمن محدثة ثغرة اقتصادية كبيرة، فضلا عن اسباب طبيعية وبشرية اخرى، ادى ذلك الى اتخاذ خطوات سياسية اجتماعية لتلافي ما يترتب على هذه الاحداث، من خلال وضع مجموعة من الاصلاحات والقوانين التي عالجت الفساد الاداري والاجتماعي وبالتالي القهر الاقتصادي، ولهذه الاسباب جاء اختيار موضوع البحث للتعرف على مدى التطور والتقدم في الوعي الفكري والسياسي لشعب العراق القديم لاسيما الشعب السومري، الذي قاد الى اصدار تشريعات وقوانين لتنظيم شؤون المجتمع، لاسيما من الناحية الاقتصادية خلال الالف الثالث قبل الميلاد .

قسم البحث الى ثلاث فقرات رئيسية، سبقت بتمهيد تطرق الى تعريف مصطلح التشريع والقانون لغة واصطلاحا، والاسباب التي ادت الى سن مثل هذه القوانين، وذكر اهم تشريعات الحضارة العراقية القديمة من القوانين، واثرها في الجانب الزراعي من خلال اصلاحات اورونمينا وقانون اورنمو، واثرها كذلك في الجانب التجاري والصناعي، مع اهم الاستنتاجات والتوصيات .

ركز الباحث على المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابة البحث اهمها مجموعة كتب الدكتور فوزي رشيد، منها كتاب اور نيمكينا، كتاب الشرائع العراقية وكتاب القوانين العراقية القديمة فلها الفضل الكبير في اغناء البحث بمادة شاملة من النصوص الخاصة بالتشريع والقوانين العراقية القديمة . واعتمد الباحث على مجموعة من المصادر المساندة الى المصادر الاولى، كان من ابرزها كتاب العراق القديم لمجموعة من علماء السوفيت، لما احتواه من معلومات هامة، اذ يسلط الضوء على الجانب الاقتصادي في العراق القديم، فضلا عن كتاب الاستاذ طه باقر، المقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في جزءه الاول، فكان على قدر كبير من الاهمية لما تناول من تفصيلات في موضوع الدراسة، اما كتاب الدكتور عامر سليمان العراق في التاريخ القديم ايضا من المصادر التي اعتمد عليها في كتابة البحث، بالاضافة الى مجموعة من الرسائل والاطاريح الجامعية التي اعتمد عليها لما تحتويه من معلومات والكتب الاجنبية المختصة .

قبل التطرق الى موضوع اثر التشريعات والقوانين في الحياة الاقتصادية العراقية خلال الالف الثالث قبل الميلاد علينا ان نبين ولو بشكل بسيط المعنى اللغوي والعام من المصطلحين  
**التشريع :**

لفظة الشريعة في اصل اللغة، وهو من جذر الفعل شرع الوارد " يشرع شرعا وشروعا " والشريعة والشراع والمشرفة : يراد بها ! موضع الماء الذي يرده الشاربون<sup>(١)</sup> .  
التشريع هو: سن القوانين التي تعرف منها الاحكام لاعمال المكلفين، وما يحدث لهم من القضايا والاحداث، فأن كان مصدر هذا التشريع هو الله سبحانه بواسطة رسله وكتبه فهو التشريع الالهي، وان كان مصدره الناس سواء اكانوا افرادا ام جماعات فهو التشريع الوضعي<sup>(٢)</sup> .  
**القانون :**

لغة يقصد بها : اما من حديث مادته، فاصله لفظ ( قن ) ويعني تتبع اخبار الشيء للامعان في معرفته، واما من أذ وزنه فهو من صيغة ( فاعول ) العربية التي تدل على الكمال وبذل الجهد<sup>(٣)</sup> . اما اصطلاحا، فيراد به احد معنيين عام او خاص، فالعام هو مجموعة القواعد التي تنظم سلوك الافراد في الجماعة تنظيما عادلا يكفل حريات الافراد ويحقق الخير العام، وتتضمن جزاء وعقاب يجبر الفرد على الالتزام به عند الاقتضاء، اما التعريف الخاص فيقصد به تلك القواعد القانونية الصادرة من السلطة التشريعية بقصد تنظيم امر معين<sup>(٤)</sup> .

تميزت بلاد الرافدين بكثرت قوانينها التي كانت تنقش على المسلات الحجرية والواح او رقم الطين الكبيرة، وكانت لكل مدينة مجموعة من القوانين الخاصة<sup>(٥)</sup> ، اذ حرص ملوك العراق القديم على تنظيم الحياة الاقتصادية عن طريق سن القوانين، ومن اقدم هذه التشريعات والسنن، هي اصلاحات الملك اوراينمكينا (uru-inim-gina)، التي شرعها بحدود ( ٢٣٤٣ ق . م )<sup>(٦)</sup> ، وما لبثت ان ظهرت بعدها قوانين اخرى منها قانون الملك ارونمو ( ٢١١٢ - ٢٠٩٦ ق . م )، مؤسس سلالة اور الثالثة، الذي يعد من اقدم القوانين العراقية القديمة والمعروفة لدى الانسان ويمثل القوانين السومرية بمواردها المختلفة<sup>(٧)</sup> ، وقانون لبت عشتار ( ١٩٣٤ - ١٩٢٣ ق . م )<sup>(٨)</sup> ، وقانون اشنونا ( ٢٠٠٠ - ١٧٦١ ق . م )، اذ هنالك اختلاف بين الباحثين في اسم الملك المدون للقانون فهناك من يسميه بقانون اشنونا لعدم معرفته اسم الملك الذي اصدره، وهنالك من يسميه باسم قانون ابيمدار الذي تقدر مدة حكمه بحدود ( ١٨٥٠ ق . م )، اذ جاء في احد تواريخ هذا الملك ما يلي (( شان شا ميشارم ابيمدار اشكونو ))، أي السنة بعد السنة التي اصدر ابيمدار قانونه<sup>(٩)</sup> .  
اما اهم القوانين التي كانت من نتاج الحضارة العراقية فكان قانون حمربابي ( ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م )، اذ يعد من افضل القوانين التي جاءتنا من العالم القديم بالرغم من اكتشاف قوانين سبقته بمئات السنين، والسبب

في ذلك يعود الى كثرت الاحكام التفصيلية الواردة فيه، وان اغلب نصوصه وفقراته كانت بحالة سليمة تقريبا<sup>(١٠)</sup> . وهناك ايضا القوانين الاشورية او الاعراف الاشورية، أذ انها لا تمثل نصوص قانونية رسمية اصدرتها سلطة حاكمة وانما هي مجموعة من احكام عرفية عن طريق الاستعانة بملخصات من الاحكام القضائية المتناثرة في النصوص التجارية<sup>(١١)</sup> .

بعد هذا التطرق السريع الى اهم القوانين التي انتجتها الحضارة العراقية القديمة لابد من ذكر اهم الاسباب والدوافع التي دفعت او كانت من العزامل المؤثرة والمحركة للملك الى سن مثل هذه الشرائع والقوانين والاسباب التي ستذكر خاصة بنطاق فترة البحث أي تشريعات اوراينمينا وقانون اورنمو .

#### اولا - العومل التي دفعت اوراينمينا الى سن تشريعاته :

اتخذ هذا الحاكم لقب الملك في عامه الثاني، بعد ان بدأ حكمه بلقب الانسي أي الامير او الحاكم، وهو لقب فيه من الدلالات الكهنوتية والدينية اكثر من لقب الملك، لاسيما ان اوراينمينا ينتمي الى طبقة الكهنة كما يعتقد<sup>(١٢)</sup>، وربما اتخاذه لقب الملك جاء من خلال انجازاته السياسية لاسيما بعد قضاءه على الفساد والتعسف والظلم الاجتماعي، فضلا عن الانجازات الاخرى، كون هذا السياق معروف لامراء وملوك سلالة لجش الاولى بشكل خاص، بالتزامهم بلقب الانسي لدلالات عقائدية ربما واتخاذهم لقب الملك بعد الانجازات السياسية، ومن خلال النص الاتي، بالرغم من كثرة الثغرات التي ربما تشير الى تفاصيل اخرى، مما يؤسف له، نستطيع ان نعرف الحالة الاقتصادية التي كانت تمر بها دويلة المدينة لكش اذ ينص على ((الشخص المشرف على الملاحين قد استولى على السفن وسائق الحمير قد استولى على الحمير وراعي الغنم قد استولى على الغنم مصادر، السمك جامع الضرائب قد استولى عليها الكهنة من نوع (كودو) " وايضا ثيران الالهة، قد استغلت من مزارع البصل العائد للحاكم لاغراض الحراثة ..... مزارع البصل ومزارع الخيار العائدة للحاكم قد امتدت ..... والشعير الذي انتجه موظفوا المعبد، قوات الحاكم قد استولت عليه))<sup>(١٣)</sup> اذن الاصلاح كان موجها للقضاء على مساوئ الازمات القديمة التي ارتكبتها طبقة ممقوته من الموظفين ( البيروقراطيين ) كانت متغلغلة في جميع شؤون الناس<sup>(١٤)</sup>، مما لاشك في ان الملك اورنمينا قد ادرك هذه الحقيقة تماما ولذلك حال تسلمه مقاليد الحكم تقدم باصلاح يعد حتى الوقت الحاضر اقدم اصلاح في التاريخ اصلح فيه النظم الادارية والاجتماعية السيئة التي كانت سائدة في سلالته<sup>(١٥)</sup>، أذ يشير احد الباحثين ان هذه الاصلاحات كانت اولى الاصلاحات التي ساعدت على حماية المجتمع من التعسف<sup>(١٦)</sup>، مستخدما لأول مرة في التأريخ ما يعني كلمة الحرية في كتابته بصيغة (أمارجي) (ama-ar-gi) ، والتي تعني الرجوع الى الام<sup>(١٧)</sup>، لاسيما على هذا المخروط الطيني والذي يسمى بمخروط

الحرية، فضلا عن كشف نص طيني على لوح صغير يشير بعض الباحثين على انه يهتم كذلك بالاصلاحيات التي ثبتها هذا الملك<sup>(١٨)</sup>.

### ثانيا - العوامل التي دفعت اورنمو الى سن قانونه :

اسفرت الفترة السابقة لحكم هذا الملك ظروف استثنائية من تدهور الحالة الاقتصادية والسياسية في البلاد (العراق القديم) نتيجة حكم الاحتلال الاجنبي الذي يمثله الكوتيين وهم من القبائل الجبلية الهمجية، بالرغم من الجنوب العراقي (بلاد سومر) كان ينعم، نوعا ما، باستقلال سياسي اقتصادي، الا انه كان متاثرا بشكل او بآخر بالوضع السياسي العام، لاسيما الحروب المتواصلة في هذه المنطقة ومنها حرب التحرير ضد الغزاة، مما ولد نوعا ما، فوضى سياسية اقتصادية ، حاول الملك اورنمو(اورناما) من تاسيس سلالة اور الثالثة، من بناء مملكة عراقية جديدة موحدة، فرض من خلالها النظام والاستقرار، متوجا ذلك بقانونه الشهير والذي يعد اولى القوانين العراقية المثبتة ببند وفقرات ثابتة كصيغة قانونية وليست اصلاحية .

ان من اهم العوامل التي دفعت اورنمو الى اصدار قانونه في الوضع المتري الذي عاشته سلالة اور والعراق بصورة عامة بعد الاحتلال الكوتي اذ نستطيع ان نستنتج من خلال مدة حكمهم التي بلغت تسعين عاما حكم خلالها عشرون ملكا، كل ملك منهم لم يستمر في الحكم اكثر من اربع او خمس سنوات، وهذه الناحية اشارة واضحة وصريحة الى الفوضى وعدم الاستقرار الذي كان يعانيه العراق خلال حكم الكوتيين، لذلك كان واجبا على اورنمو بعد تسلمه السلطة ان يقوم بمحاولات اصلاحية لينقذ البلاد من الفوضى وعدم النظام الذي تركه الكوتيين<sup>(١٩)</sup> . وايضا من خلال هذا التشريع محاولة من اورنمو ان ينظم حياة المجتمع والناس اذ قضى على الغشاشين وعلى المرتشدين او كما عبرت عنه شريعة (( ناهي ابقار المواطنين واغنامهم وحميرهم ))<sup>(٢٠)</sup> . هذه كانت من اهم الاسباب التي دفعت كل من اورنمينا واورنمو الى تشريع هذه التشريعات والقوانين .

### اثر التشريعات والقوانين على الجانب الزراعي :

ان الاسباب التي دفعت اورنمينا الى اصدار اصلاحته الشهيرة التي تم ذكرها فيما سبق من خلال التمهيد، وسيتم ذكر اهم النصوص الخاصة بالجانب الزراعي والتي استطاع من خلالها اورنمينا من تطور الزراعة وزيادة الانتاج وهذه النصوص هي :

١- ان وجود الحكام في حقول الحكام ( مالكين لها ) الاله ننكرسو المالك لها، قد وضع أي تقرير ووجود نساء البيوت في حقول نساء البيوت ( مالكين لها ) الاله بابا المالكة لها قد وضعت وجود الاطفال في حقول الاطفال ( مالكين لها ) الاله شول شاكنا المالك قد وضع ومن حدود الاله ننكرسو وحتى البحر لم يعين احد مفوضاً .

- ٢- الاراضي الزراعية العائدة الى اتباع الملك قد تم تحديدها .
- ٣- اكداس الشعير العائدة الى كهنة (( الكودو )) مراقب المخازن قد طرده .
- ٤- الاراضي المزروعة بالبصل والعائدة الى الامراء قد حرثت .
- ٥- القنات الصغيرة التي مدينة كرسو تملكها من اجل الاله ننكرسو بالمعول يحفرها .
- ٦- المسؤول الزراعي البساتين العائدة الى بسطاء الناس لم ينهب (٢١) .

من خلال هذه النصوص نستطيع ان نلاحظ الطريقة التي عالج بها اورنمكينا الفساد الاداري وسوء استغلال الموظفين لبسطاء الناس ارتبطت الزراعة بعوامل الطبيعة من تربة خصبة وامطار وانهار كافية للارواء وبما ان تلك العوامل الطبيعية قد جسدت من لدن الانسان العراقي القديم بهيئة الهة يقدم لها فروض الطاعة لتتعم عليه بالخيرات لذا نجد المعبد في بلاد الرافدين قد استأثر بأقتصاد المدينة اذ سيطر على عدد كبير من الاراضي الزراعية لمصلحة الاله (٢٢) .

لذا نجد الحياة الاقتصادية في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد قد تركزت حول المعبد اذ كان يشكل الوحدة الاقتصادية الدينية حدث تطور كبير في الفكر الاقتصادي العراقي القديم ففي عصر فجر السلالات تحولت مزارع العبد من ملكية خاصة له الى ملكية عامة الى الدولة كما اخذ اقتصاد المدينة او القرية بالنمو اعتمادا على الزراعة وصيد الاسماك (٢٣)، ونتيجة هذا التحول في نظام الملكية وسوء المعاملة التي كان يعامل بها الناس من الاستغلال من قبل الموظفين اذ انهم كانوا يتصرفون في الحقول والبساتين والمزارع التي تعود الى ابناء الشعب العاديين كما لو كانت ملكهم الشخصي اذ ان الاصلاح الملك قد منع هؤلاء الموظفين من قبل قطع الاشجار واخذ ثمارها من دون موافقة اهله (٢٤) .

ان الانتقال من الزعامة من المعبد الى يد السلطة السياسية قد اثارت بلاشك تذمر رجال الدين الذي لا بد له ان العكس على افراد الشعب ايضاً والذي بلغ ذروته في مدة حكم اورنمكينا، اذ اضطر الى الغاء ملكية الاراضي الشخصية الخاصة به وبافراد عائلته من النساء والاطفال واعادها جميعا الى ملكية المعبد (٢٥) . ومن مضمون اصلاح الملك اورنمكينا ان السومريين كانوا يزرعون مساحات واسعة من البصل والسؤال الذي يطرح نفسه بهذا الخصوص لماذا ركز السومريون على زراعة البصل هل كما نقول طعام الفقير ام هنالك سببا اخر لقد اثبتت الدراسات الحديثة ان البصل رغم الفيتامينات التي يحتويه فهو معقم جيدا للخم والاسنان من الجراثيم اذ ان سرعان ما تطور وتوحد سكان المدينة وصارت ملكية الارض التي تمتلكها يكفي لتنظيم الاقتصاد على صعيد العمل وكانت العملية الاقتصادية تدار بالاشراف المباشر من قبل المعبد نتيجة سيطرته على هذه المزارع (٢٦) .

مما سبق يتضح ان الاقتصاد بني اساسا على الاراضي الزراعية التي كانت تابعة للمعبد تشرف عليها حكومة دينية يتراسها شخص يسمى انسي وينظر اليه بصفة وكيل الهة المدينة وفي عصر فجر السلالات حدث تطور كبير في الفكر الاقتصادي العراقي القديم تمثل في انتقال اقتصاد الدولة في ضمنه الاراضي الزراعية من سلطة المعبد الى الحاكم الانسي ثم الى الملك<sup>(٢٧)</sup> التي كان من نتائجها فقدت مزارع المعبد الخاصة دورها المسيطر السابق وتحولت الى مجرد اراضي ملكية خاصة للمعبد<sup>(٢٨)</sup> . اما فيما يخص اهم النصوص الخاصة بشريعة اورنمو بالجانب الزراعي والتي من خلالها استطاع من القضاء على الاوضاع المتردية في سلالة اور الثالثة فهي كالآتي :-

١- يشير اورنمو في مقدمة قانونه الى بعض الاصلاحات وانجازاته ولاسيما في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ولقد اهتم بشكل كبير بتثبيت المكاييل والاوزان في المقدمة والذي يتألف من ٣١ مادة قانونية<sup>(٢٩)</sup> .

٢- اذ تساط رجل وزرع حقل يعود الى شخص اخر فاذا اقام صاحب الحقل دعوة قانونية ضده ولكن المغتصب أي الذي زرع الحقل فقد تجاهل فانه أي المغتصب سوف يخسر حتى المصروفات التي دفعها على حقل (المادة ٢٧) .

٣- اذ تسب رجل في اغراق حقل مزروع يعود الى رجل اخر عليه ان يدفع لصاحب الحقل ثلاث كور من الشعير لكل ايكو من الحقل (المادة ٢٨) .

٤- اذا اجر رجل ارض زراعية تعود الى رجل اخر من اجل زراعتها ولكن لم يزرعها بل حولها بسبب اهمالة الى ارض جرداء عليه ان يدفع لصاحب الارض ثلاث كود من الشعير لكل ايكو من الحقل (المادة ٢٩)<sup>(٣٠)</sup> .

من الملاحظات العامة التي يجدر ذكرها عن سلالة اور الثالثة قبل ايجاز الكلام عن تطورها الاقتصادي انها كانت نهاية حياة السومريين السياسية اذ لم تنشأ منهم سلالات حاكمة اخرى بصفتهم طبقة حاكمة من بعد هذه السلالة<sup>(٣١)</sup> . شكلت سلالة اور الثالثة امبراطورية بكل مافي هذه الكلمة من معنى شملت جزء كبير من الشرق الاوسط امثال اشور وعيلام واقساما من سوريا ووديان انهر الخابور والبلخ حتى اسيا الصغرى ودلمون<sup>(٣٢)</sup> . وبالمقارنة مع قلة المصادر المتعلقة بالاوضاع السياسية وقلة السجلات الملكية الرسمية جاءت الينا من عهد سلالة اور الثالثة مصادر وفيرة عن الاحوال الداخلية من الوثائق والعقود التجارية والاقتصادية والتي تمتاز بالاعتضاب واستخدام المصطلحات الخاصة سواء الفنية او القانونية ومما لاشك فيه ان هذه الوفرة من الوثائق الاقتصادية والادارية كانت تستلزم جهازا واسعا من المسجلين والمحاسبين

والمشرفين وبعبارة اخرى ادارة مكتبة ( بيروقراطية ) والواقع من الامر ان ولع الكتب السومرية بالتسجيل والتنظيم وحفظ الوثائق كانت تراثا متصلاً ورث كتبه سلالة اور الثالثة في العصور الماضية (٣٣) .

تميزت سلالة اور الثالثة بالملكية المطلقة فلم تكن لسلطة الملك حدود فهو المسؤول عن الادارة والحكم وكان عرشه وراثيا، ويأتي في قمة الهرم، الملك ومستشاره الاعظم ( السوكال ماخ ) في حين كان الانسى (ايشاكو) يحكم وحدة ادارية، ويعين من قبل الملك ويكون مسؤولا في المدينة عن السلطة القضائية(٣٤) . وكانت القاعدة الاقتصادية لهذه السلطة الملكية متمثلة في حقول المزارع في ارض التاج ولم يكن بالامكان انتاج السلع على مدى واسع خارج نطاق المزارع الملكية وان كل فعاليات الحرف اليدوية والتجارة عدا جزء ضئيل منها كانت حكرا للملك ذلك لان وجود افراد من المجتمع خارج المزارع الملكية والامثلة المتناثرة عن عمليات بيع وشراء العقارات وغيرها يؤكد وجود اراضي غير ملكية اراضي تعود الى المجتمع قد حرص ملوك العراق القديم على تنظيم الحياة الاقتصادية عن طريق سن القوانين العراقية اذ تميزت بانها من اقدم السنن (٣٥) .

#### اثر التشريعات والقوانين على الجانب التجاري .

من خلال النصوص الاتية نستطيع ان نعرف على اصطلاحات اورنمينا في الجانب التجاري :-

١ - الملاح التلاعب قد طرده .

٢ - كل مسؤولي القطعان قد تم طردهم من ضمنها المسؤولين عن الحمير (٣٦) .

تقدمت التجارة في بلاد سومر بفضل التقدم الزراعي وكثرة الحاصلات الزراعية كما انتعشت الصناعة المحلية للادوات المعمولة من الخشب والمعادن والاحجار التي استوردها من الخارج وصدرو الاصواف المحاكة والاصباغ والمنتجات الزراعية وكان لكل ضرب من هذه الاسواق وعملاء ووكلاء وممولون (٣٧) ففي مطلع الالف الثالث قبل الميلاد تنكشف امامنا بوضوح الاهمية الكبيرة التي احتلتها التجارة في حياة العراقيين القدماء وفي مجمل نشاطاتهم الاقتصادية ويتحول الاهتمام من الطابع الفردي الى الطابع الجماعي المنظم الذي تشرف عليه الدولة ويلقي اهتمام الزعماء والملوك فلم يخف اهتمام الملوك بالتجارة وعنايتهم بها الى الحد الذي دفعهم الى ارسال الحملات العسكرية لضمان سلامة طرق التجارة وتهيئة اسباب تدفق المواد الاولية من المناشئ المختلفة (٣٨) .

هيأت الطبيعة للعراقيين القدماء طرقا جديدة من دون أي تكاليف لانشائها او صيانتها اذ اشتهرت ارض بلاد الرافدين بخصوبتها ووفرة مياهها وتنوع المنتجات الزراعية والحيوانية الا انها تفنقر الى كثير من المواد الاولية ولا سيما خامات المعادن والاشباب والاحجار الجيدة كما اقتضت الحاجة الى تصريف الفائض من المنتجات الزراعية والحيوانية المصنعة عن طريق التجارة (٣٩) ، وهنا يثار لماذا استعمل العراقيون القدماء

الحمير فقط ولم يستعملوا الخيول هل انها كانت معروفة لديهم او لان الاصلاح لم يتطرق اليها او ان السبب في ذلك ان متانة العربات السومرية انذاك ما كان بإمكانها ان تتحمل سرعة الحصان وان سرعة الحمير او البغال كانت مناسبة لها ولذلك استعملت الحمير والبغال لسحب العربات والنقل<sup>(٤٠)</sup> من خلال هذه النصوص اخرى مكتشفة في لكش من هذه العصر تعرض صورة واضحة عن التجارة في هذا العصر أذ تذكر استيراد النحاس من دلمون والقصدير من الشمال والخشب من عيلام وهذه التجارة كانت تتم في مجتمع تلعب فيه الدولة والمعبد الدور المسيطر في الاقتصاد ، والتجارة في هذه الفترة كانت غالبا تجارة مقيضة<sup>(٤١)</sup> . اما اهم النصوص التي تشير الى التطور في الجانب التجاري في شريعة اورنمو هي :-

١- اعادة قوارب " مكان " للاله نار .

٢- توفير الحرية في بلاد اكد للتجارة البحرية ضد سطوة مراقبي الملاحة<sup>(٤٢)</sup> .

ومما يؤكد اهتمام اورنمو بالحياة الاقتصادية هو ما جاء الينا من اهتمام هذا الملك في حفر الاقنية والانهار وجداول الري فقد شغلت اقامة مشاريع الري جانبا مهما من نشاط هذا الملك بسبب تدهور هذه المشاريع ابان فترة الحكم الكوتي المظلمة فلزم على مؤسس السلالة وخلفائه بذل الجهود المتواصلة لاعادة الرخاء والازدهار الاقتصادي الى البلاد<sup>(٤٣)</sup>، فنستطيع ان نستنتج من مشاريع الري هذه الى ازدهار الزراعة من خلال مشاريع الري التي قام بها اورنمو وكذلك ازدهار التجارة من خلال وجود بقايا اثار ميناء الهادف الى ربط اور بالخليج وهكذا يؤكد على ازدهار التجارة مع مناطق الخليج العربي بحسب الموقع الجغرافي لاور الثالثة وتكشف لنا مقدمو اورنمو على حرص الدولة للنشاط التجاري من خلال حماية السفن التجارية وجعل مسارها في موانئ المدن امناً ومحماً فنجد هيمنة القصر والمعبد على شؤون التجارة الخارجية تستمر الى زمن سلالة اور الثالثة ولكن ذلك لم يمنع وجود بعض النشاطات التجارية الخاصة وعلى نطاق محدود وفي حدود التجارة الداخلية لان عددا ليس بالقليل من العقود يسجل معاملات البيع والشراء والقرض والايجار وهي دلائل على ازدهار التعامل الاقتصادي بين الافراد<sup>(٤٤)</sup> .

**اثر التشريعات والقوانين على الجانب الصناعي :-**

لقد وردت العديد من النصوص الخاصة بالجانب الصناعي في اصلاح اورنمينا وهي كالآتي :-

١- ثلاث بان من الشعير لصانع الاواني الحجرية .

٢- صانعو الجعة - التي وردت في احد النصوص .

٣- النجار الذي يقيم الطقوس في مكان عمله .<sup>(٤٥)</sup>

مما لاشك ان تركز السكان في مواقع جغرافية معينة وتطورها الى مدن ذات كيانات سياسية وزيادة عدد السكان فيها وتنوع حاجاتهم المعيشية تؤدي بالضرورة الى توسع النشاطات الاقتصادية المختلفة ومنها

الصناعية فبعد ان كان الاقتصاد العراقي في العصور القديمة يعتمد على ثلاث أنشطة أساسية هي الزراعة والتجارة والصناعة وكانت تلك الأنشطة متداخلة بعضها مع بعض معتمدة واحدة على الأخرى ففي العصور السومرية المبكرة كانت الحرف اليدوية التقليدية واسعة الانتشار ثم مالبت ان أصبحت صناعات حرفية متخصصة فاحتفظت كل جماعة بأسرار حرفتها وغدا تعليم الحرفة لا يتم الا بالتدريب الطويل على ايدي الصناع المهرة من الحرفيين فكانت الحرفة تنقل من الابن الى الابن وكان اصحاب الحرف ينظمون فيما يشبه النقابات المهنية يرأس كل حلقة اكثر الصناع حرفة ونفوذاً وتشير نصوص من عصر فجر السلالات الى ان كان في المعبد مشاغل متخصصة يعمل فيها الصناع من الرجال والصبيان والنساء لقاء اجور معينة وكان لكل مشغل مراقب ومشرف ومن هذه المشاغل مشاغل النحات والصائغ وصانع الجلود والخياطة والنجار وغيرها<sup>(٤٦)</sup>. وورد في احد نصوص صانعو الجعة، اذ كانت تعتبر من الصناعات التي مارسها العراقيون القدماء وانها من المشروبات المنعشة والمفضلة لديهم<sup>(٤٧)</sup>.

اما الصناعة في سلالة اور الثالثة فانه لم يرد نص بشأنها ولكن نستطيع ان نستنتج من خلال مقدمة القانون اذ ان التوسع في مشاريع الري وكذلك التوسع في التجارة التي تتم عن طريق المتاجرة في السفن يدل على وجود طبقة من الصناع الماهرين اللازمة الى مثل هذه التطورات الاقتصادية<sup>(٤٨)</sup> وفي مجال الصناعة أصبحت معظم الحرف والصناعات ضمن اشراف سلالة اور الثالثة مباشرة وكانت الدولة تمتلك المشاغل الصناعية والمجموعات الكبيرة من الفنيين والحرفيين فضلا عن العبيد الذين ازداد عددهم في هذا العصر في مجال الصناعة وكانو يعينون تحت اشراف موظف حكومي يكون مسؤولاً عليهم<sup>(٤٩)</sup>.

#### الاستنتاجات :-

من خلال هذا الاستعراض البسيط لاثر التشريعات والقوانين في الحياة الاقتصادية في الالف الثالث قبل الميلاد يمكن التوصل الى مجموعة من النتائج نجملها بما يأتي :-

- ١- نلاحظ انه في كلا التشريعين ان كلا الملكين سنا تشريعاتهما بعد تفويض الالهة لهما .
- ٢- ان لظاهرة التوسع والزيادة السكانية اثر في خلق بعد الظروف والازمات التي بحاجة الى منهجية تسيرها وهذا ما اقدم كل من اورنمكينا واورنمو .
- ٣- ان ما قام به اورنمكينا في اصلاح الوضع الاجتماعي المتردي من خلال الفساد الاداري للموظفين وما قامو به من استغلال للطبقات الفقيرة من الفلاحين .
- ٤- نلاحظ خلال عصر فجر السلالات سيطرة المعبد على الارض الزراعية الواسعة فهو بمثابة المحرك الاساس لاقتصاد المدينة والذي يشرف على وارداتها الاقتصادية .

٥- اما نمط الحياة الاقتصادية في اور الثالثة نلاحظ هناك اثر فعال في نجاح الدولة ومؤسستها من الترابط بين الحياة الاقتصادية والنظام السياسي بما يعني هذا المصطلح من تأثير في حياة المجتمعات القديمة بشكل او بأخر . ولكن مايوخذ عن الحياة الاقتصادية في اور الثالثة ان هذه السلالة عرفت الجانب السلبي والايجابي للاقتصاد معا . اذ لو تتبعنا تاريخ نشوءها وسقوطها لوجدنا ان العامل الاقتصادي العامل المحرك الرئيسي من بين عوامل اخرى كان سببا في نهوضها وسببا في سقوطها.

٦- ان اعتماد قانون اورنمو لمبداء الغرامة في العقوبات الجزائية يؤكد على الحالة الاقتصادية الجديدة التي كان يتمتع بها سكان اور الثالثة .

### الهوامش :

- (١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأفرقي المصري (٦٣٠ - ٧١١ هـ)، لسان العرب، ط١، ج١٣، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٧٥، باب (شرع) .
- (٢) محمد عمر احمد الشاهين، التحولات التي احدثها الاسلام في النظام القانوني عند العرب، جامعة الموصل، ص ٤٤ .
- (٣) ابن منظور ، المصدر السابق، ص١٧٥، باب (قن) .
- (٤) محمد عمر احمد الشاهين، مصدر سابق، ص ٧ - ٨ .
- (٥) حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ١٠١ .
- (٦) اور نيمكينا: هو الملك الحادي عشر والايخير من ملوك سلالة لكش الاولى حوالي(٢٣٤٢-٢٣٥١ق.م (استمر في الحكم حوالي ثمانية اعوام شرع خلالها اصلاحاته الاجتماعية، ينظر: فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ص ١١ - ١٢ .
- (٧) المصدر نفسه، ص ٢٥ .
- (٨) قانون لبت عشتار: هو احد القوانين المعروفة في العصر البابلي القديم، وينسب الى لبت عشتار خامس ملوك سلالة ايسن وكتب في اللغة السومرية، ينظر: عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي، الموصل، ١٩٩٢، ص ١٨١ . ؛ رضا جواد الهاشمي، القانون والاحوال الشخصية " حضارة العراق "، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٧٣ .
- (٩) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي، الموصل، ١٩٩٢، ص ١٨٣ ؛ فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٦٧ .

- 
- (١٠) هورست كلنغل، حمراي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٤١ - ١٤٢.
- (١١) فوزي رشيد، المصدر سابق، ص ١٨١ .
- (١٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٢١.
- (١٣) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ط١، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٢ - ١٣ .
- (١٤) صموئيل نوح كريم، من الواح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد، ١٩٥٧، ص ١٠٥ .
- (١٥) فوزي رشيد، اوركاچينا، اول مصلح في التاريخ، بغداد، ١٩٩٧، ص ٣٩ .
- (16) Benjamin R. Foster, Social Reform in Ancient Mesopotamia, NewYork, 1993, pp. 169-173.
- (١٧) فوزي رشيد، ترجمات لنصوص ملكية سومرية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٠٦.
- (18) Daniel A. Foxvog, "A New Lagaš Text Bearing on Uruinimgina's Reforms", Journal of Cuneiform Studies(JCS), Vol. 46, 1994, pp. 11-15.
- (١٩) فوزي رشيد، ١٩٧٣، مصدر سابق، ص ٣٣ .
- (٢٠) صموئيل نوح كريم، مصدر سابق، ص ١١٩.
- (٢١) فوزي رشيد، ١٩٨٨، مصدر سابق، ص ١١ - ٢٥ .
- (٢٢) شيماء ماجد كاظم الحبوبى، الحيوية والاستمرار في عقائد بلاد الرافدين القديمة حتى سقوط بابل (٥٣٩ ق . م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ١٥٠ .
- (٢٣) تيومنيف، "اقتصاد الدولة في سومر" العراق القديم، لمجموعة علماء السوفيت، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٠٢
- (٢٤) فوزي رشيد، ١٩٧٧، مصدر سابق، ص ٣٩ .
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٥٣ .
- (٢٦) ف . ف ستروف، "مسألة تكوين مجتمعات الرق" من كتاب العراق القديم، لمجموعة علماء السوفيت، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٨ .
- (٢٧) تيومنيف، مصدر سابق، ص ٩٩ .
- (٢٨) طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٣٨ .
- (٢٩) احمد امين، مصر والعراق دراسة حضارية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٦٧ .
- (٣٠) فوزي رشيد، ١٩٨٨، مصدر سابق، ص ٣٢ .
- (٣١) طه باقر، مصدر سابق، ص ٣٨٢ .

- (٣٢) سامي سعيد الاحمد، العراق القديم، بغداد، ١٩٨٣، ج٢، ص ١٠٩ .
- (٣٣) طه باقر، مصدر سابق، ص ٣٩٦ .
- (٣٤) عبد القادر عبد الجبار الشخلي، "الإدارة السياسية"، العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٤٦ .
- (٣٥) دياكونوف، " ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم " العراق القديم، لمجموعة علماء السوفيت، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٩٩ .
- (٣٦) فوزي رشيد، ١٩٨٨، مصدر سابق، ص ١٧ .
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٩٤ .
- (٣٨) رضا جواد الهاشمي، " التجارة " حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٩٦ .
- (٣٩) عامر عبد الله نجم الجميلي، المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ١٠ .
- (٤٠) فوزي رشيد، ١٩٧٧، مصدر سابق، ص ٤٢ .
- (٤١) عيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم "سومر واكد بابل واشور ورام"، دمشق، ١٩٨٤، ص ١٤٤ ص ١٤٤ .
- (٤٢) فوزي رشيد، ١٩٨٨، مصدر سابق، ص ٣٧ - ٣٨ .
- (٤٣) طه باقر، مصدر سابق، ص ٣٨٧ .
- (٤٤) رضا جواد الهاشمي، مصدر سابق، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- (٤٥) فوزي رشيد، ١٩٨٨، مصدر سابق، ص ٢٢ - ٣١ .
- (٤٦) صباح اصطفيان كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٩ .
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ٩٦ - ٩٧ .
- (٤٨) رضا جواد الهاشمي، مصدر سابق، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- (٤٩) وليد الجادر، "التجمعات الزراعية الاولى"، المدينة والحياة المدنية، بغداد، ١٩٧٨، ص ٦٨ .
- المصادر العربية :**

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأفرقي، (٦٣٠ - ٧١١ هـ)، لسان العرب، ج١٣، ط١، بيروت، ٢٠٠٠ .
٢. إسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٧ .

- 
٣. امين، احمد، مصر والعراق دراسة حضارية، بيروت، ٢٠٠٢ .
  ٤. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٨٦ .
  ٥. تيومنيف، " اقتصاد الدولة في سومر " العراق القديم، لمجموعة علماء السوفيت، بغداد، ١٩٨٦ .
  ٦. الجادر، وليد، " التجمعات الزراعية الاولى "، المدينة والحياة المدنية، بغداد، ١٩٧٨ .
  ٧. الجميلي، عامر عبد الله نجم، المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى جامعة الموصل، ٢٠٠٦ .
  ٨. الحبوبى، شيماء ماجد كاظم، الحيوية والاستمرار في عقائد بلاد الرافدين القديمة حتى سقوط بابل ٥٣٩ ق . م، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٧ .
  ٩. دياكونوف، "ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم"، العراق القديم، لمجموعة علماء السوفيت، بغداد، ١٩٨٦ .
  ١٠. رشيد، فوزي، اوركاجينا اول مصلىح في التاريخ ، بغداد، ١٩٩٧ .
  ١١. رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٣ .
  ١٢. رشيد، فوزي، القوانين في العراق القديم، ط١، بغداد، ١٩٨٨ .
  ١٣. ستروف، ف. ف، " مسألة تكوين مجمعات الرق"، العراق القديم، لمجموعة علماء السوفيت، بغداد، ١٩٨٦ .
  ١٤. الاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، بغداد، ١٩٨٣ .
  ١٥. سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي، الموصل، ١٩٩٢ .
  ١٦. الشاهين، محمد عمر احمد، التحولات التي احدثها الاسلام في النظام القانوني عند العرب، جامعة الموصل .
  ١٧. الشيلخي، عبد القادر عبد الجبار، " الإدارة السياسية"، العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير، ج١، بغداد، ١٩٨٨ .
  ١٨. كجه جي، صباح اصطفيان، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٢ .
  ١٩. كريمر، صموئيل نوح، من الواح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد، ١٩٥٧ .
  ٢٠. كلنغل، هورست، حمرابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، ١٩٨٧ .
  ٢١. مرعي، عيد، دول وحضارات الشرق العربي القديم "سومر واكد بابل واشور وارام"، دمشق، ١٩٨٤ .
  ٢٢. الهاشمي، رضا جواد، " التجارة"، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥ .
  ٢٣. الهاشمي، رضا جواد، "القانون والاحوال الشخصية"، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥ .

---

المصادر الاجنبية :

1. Benjamin R. Foster, Social Reform in Ancient Mesopotamia, NewYork, 1993.
2. Daniel A. Foxvog, "A New Lagaš Text Bearing on Uruinimgina's Reforms", Journal of Cuneiform Studies(JCS), Vol. 46, 1994